دولة الخروف الاسود والابيض

المدرس المساعد : بتول انور علي
batoolanwar1994@uomustansiriyah.edu.iq

دولة الخروف الاسود

كانت دولة الخروف الاسود تحت قيادة زعيم القبيلة (قره يوسف)التركماني الذي استطاع السيطرة على بغداد بعد اغتياله (احمد الجلائري) واستمر حكم هذه القبيلة (1410-1460م) وبذلك اصبح العراق جزء من الدولة عاصمتها (تبريز) التي عرفت باسم (القره قوينلو) وكانت تسمى (الدولة البارانية) نسبة الى قبائل العز التركماني التي نزحت من تركستان الغربية الى جهات اذربيجان وسيواس في اواخر القرن الثالث عشر. الميلادي وشاع اسمها (القره قوينلو) واصبح اصطلاحاً خاصاً بها لاشتهارها بأقتناء الشياه السود ، ولان رايتها كانت تحمل شاره الخروف الاسود، وقد تعاون ابناء القبيلة مع السلطان (معز الدين بن اويس الجلائري) في توطيد ملكه حتى اصبح لـ (بيرام خواجه بن تورمش) شأن عظيم بين القبائل المتعاونه مع السلطان معز الدين بن اويس، وقد استغل وفاة معز الدين الجلائري حيث عمت الفوضى وشاعت الفتن والتمردات والاضطرابات ويعد الامير (قره يوسف) (1356-1374م) المؤسس الحقيقي لهذه الدولة وهو حفيد (بيرام خواجه بن تورمش) حيث استطاع طرد الجلائريين من العراق ووسع مملكته.

بلغت دولة (الخروف الاسود) اوج قوتها في زمن حاكمها (جيهان شاه) (1453م-1467م) الذي امتدت سيطرته من تبريز وشط العرب وكرمان وفارس.

الا ان حكمه كان قصيراً ، لذلك ساءت احوال البلاد العامة في العراق خاصة بعد ظهور حركة المشعشعين (1440)م في البصرة وواسط ، هذه الحركة التي اتخذت مظهراً دينياً وكان جوهرها سياسياً ، الا ان الاسرة الحاكمة استطاعت القضاء على هذه الحركة ،ولكن حركة المشعشعين اضعفت دولة (القره قوينلو) ازاء الاخطار الخارطة حيث اغتنم (ازون بن حسن الطويل) وهو زعيم امارة تركمانية اخرى ، مركزها ديار بكر حالة الانشقاق الذي حدث بين (جيهان شاه) وولده (بيربوداق) الذي حاول الانفصال عن ابيه والاستقلال في بغداد فقتله والده ، فادى ذلك الى حدوث اضطرابات ، فاستغلها (حسن الطويل)ووسع سلطانه الى المناطق المجاورة للقره قوينلو فقاد جيهان شاه جيشاً لتأديب حسن الطويل ، والتقى الجيشان في ديار بكر عام (1467م) انتصر فيها حسن الطويل وقتل جيهان شاه، وبعد هذا الانتصار الكبير توجه حسن الطويل نحو بغداد ولكنه لم يستطع فتحها، فتوجه الى تبريز عاصمة دولة (القره قوينلو) فاستولى عليها وبذلك انتهت هذه الاسرة بعد فتره حكم دام قرن ونصف، وظهرت دولة جديدة وهي دولة الخروف الابيض.

دولة الخروف الابيض

قاد(مقصود بن حسن الطويل) جيشاً جراراً واتجه به نحو بغداد فاحتلها فاصبحت بغداد تحت حكم اسرة (الاق قرينلو) (الخروف الابيض) التي عرفت بأقتنائها الشياه البيض.

برزت هذه القبيلة في اواخر القرن الثالث عشر. الميلادي، وكانت ذات قوة ونفوذ ونظراً لاتباعها سياسة مؤيده لتيمورلنك، حصل زعيمها (قره عثمان) على مكانه مرموقه ، ثبت امارته في ديار بكر، وفي عهد حفيده (حسن الطويل)زادت قبيلته قوة ونفوذاً، عندما استطاع السيطرة على امارة (القره قوينلو) والقضاء على اخر شاهاتها ، حين صرع (جيهان شاه) وضم ممتلكاته الى امارته ومنها العراق ، وقد نال العراق شيئاً من الاستقرار في عهد(حسن الطويل) وابنه (يعقوب) وقد حاول التوسع شمالاً في بلاد الاناضول ، الا انه اصطدم بقوات العثمانيين، فانكسر امامهم في (قيسارية) سنة (1473م).

اخذ المشعشعون من جديد عام (1477م) يهددون بغداد، ولكن (القره قوينلو) استطاعوا ايقاف زحفهم.

ان كثرة الحروب الاهلية بين افراد هذه القبيلة من اجل الحصول على السلطنه خاصة بعد وفاة السلطان يعقوب ، الذي خلفه ابنه (بايسنقر) والذي كان صغير السن لايتجاوز العشر. سنوات فطمع الامير (رسم بن حيدر) بالعرش فطرد (بايسنقر) وسيطر عل العرش في عام (1491) م ولكن الاعداء الطامعين في الملك سرعان

ما قتلوه، فكثرت الاضطرابات والفتن بعد ذلك مما ادى الى تدهور الوضع فسفكت دماء كثيرة ،وعانى العراقيون الكثير من الويلات نتيجة لذلك، فسئم الناس القتال.

وهكذا ساءت الاوضاع وضعفت البلاد مما ادى الى سقوطها على يد قوة جديدة هم الصفوين عام(1508م) وهؤلاء ايضاً ينتمون الى اسرة تركمانية صفوية تنتسب الى الشيخ (صفي الدين) المتوفي عام (1334م) واشتهر هذا في اردبيل (الواقعة على بحر الخزر) بطريقته الصوفية التي حققت له نفوذاً كبيراً في انحاء اذربيجان وقد كان حكومة (القره قوينلو) تضطهد هؤلاء الصفويين مما دفعهم لاحتماء الى حسن الطويل زعيم (الاق قوينلو) ،فلما سقطت امارة (القره قوينلو)وسيطرت امارة(الاق قوينلو) على حكم ارتفع شأن هذه الاسرة كثيراً.

واستطاع (الشيخ اسماعيل صفي الدين) استغلال الاوضاع المضطربة والفوضى والتمزق في حكومة (القره قوينلو)فهاجمهم ودخل تبريز في مطلع القرن السادس عشر. واعلن نفسه شاهاً واتخذ منها عاصمة له، ثم بعد ذلك استطاع السيطرة على ارجاء فارس في عام (1507)م ، وفي عام (1508م) عزم الشاه اسماعيل الصفوي من السيطرة على العراق طامعاً بخيراته الوفيرة وموقعه الستراتيجي.

ارسل الشاه اسماعيل الصفوي قائده الفارسي (لاله حسين) الى سلطان عشيرة (القره قوينلو) على رأس جيش جرار،وقد حاول سلطان(الاقره قوينلو) معالجة الموقف دون حرب، فأرسل اليه وفداً طالب ببقاءه سلطاناً في بغداد مقابل جزية يدفعها للشاه اسماعيل ، لكن الشاه(اسماعيل الصفوي)رفض ذلك وامر بذبح جميع اعضاء الوفد ،فطلب السلطان(القره قوينلو) المساعدة من السلطان المملوكي (قانصوه الغوري) سلطان امارة(ذي القدر) الذي ادرك الخطر الصفوي عليه ماذا سيطر الصفويين على العراق ، ولكن بسبب الضعف الذي كان عليه الامارة لم يستطع ان يقدم مساعدة تذكر لمقارعة الصفويين ، لذلك سيطر الشاه اسماعيل الصفوي بسهولة على بغداد عام (1508م) ووطد فيها حكمه، وعين (خادم بيك) والياً على بغداد وسماه خليفة الخلفاء ، وهكذا انتهت دولة (القره قوينلو) وبالرغم من دخوله سلماً ، الا ان لمر بمذبحه كبيرة راح ضحيتها كثير من الناس.

يعد احتلال مدينة بغداد وسيطرة الصفويين عليها ذا اهمية كبيرة بالنسبة للصفويين كونها عاصمة الاسلامية ، وبعد استقراره في بغداد توجه الى باقي انحاء العراق، فسيطر على البصرة ، وغفي طريق عودته قضى على امارة المشعشعين فسيطر بذلك على الاحواز وبقية العراق تحت سيطرة بلاد فارس وحكم الصفوي، الى ان اصطدمت بالدولة الفتية العثمانية التي بدأت اطماعها تتجه نحو العراق لاخراج الصفويين منها.

ومن الملاحظ ان الصفويين تعرضوا الى امارة (ذي القدر) وخربوها وقتلوا الكثير فيها، وقد ابدى قانصوه الغوري اخر المماليك مصر. والشام استعداده لمقاومة الشاه الصفوي ، ولكن لم تكن هناك استعدادات جيدة اضافة الى انشغال المماليك بالخطر البرتغالي الذي كان يهدد البحار العربية ، لذلك ترك (مراد بن يعقوب) يواجه مصيره وحده.